خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٤/٣

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لقد استمعنا سابقًا إلى ذكر لوعة رسول الله ﷺ وجهوده وشجاعته في إقامة التوحيد في العالم، وعن وقوفه كصخرة كأداء أمام كل جوانب الشرك، وعن صدحِه بالحق ضد أفكار الشرك لكل أمة وتعاليمها. وفي بيان هذا الموضوع يقول حضرة المسيح الموعود عليه السلام:

"يجب التأمل كيف استقام النبي ﷺ وصمد على إعلانه النبوة من أول يوم إلى آخر لحظة من حياته مع ظهور آلاف الأخطار ونهوض مئات الآلاف من المعاندين والمعارضين والمخوِّفين، وواجه إلى سنين عديدة من المصائب وتحمّل من الإيذاء ما كان من شأنه أن يؤدي إلى اليأس والقنوط من النجاح تماما. وقد ظلت تلك المصائب تزداد يوما إثر يوم بحيث ما كان ليُتصور أو يخطر على البال تحقق أيّ هدف دنيوي نتيجة الصبر عليها، بل الحق أنه ﷺ أفقدَ بنفسه أصدقاءه السابقين وجمعه أيضا بسبب إعلانه النبوة. (أي أنه بفعل يده خسر جمعَه الأول وأقاربه) وبقيامه بإعلان واحد فقد اختار لنفسه مئات الآلاف من المعارضات، واستدعى لنفسه آلاف البلايا والآفات؛ فقد نُفي من وطنه، ولوحق للقتل، دُمّر بيته وقطعت أسباب معيشته، ودُسّ له السمُّ مرارا، وتحول المتعاطفون له سابقًا إلى طالبي الشر له، وأصدقاؤه إلى أعدائه. واضطر ﷺ لتحمّل أنواع المرارة والمعاناة إلى زمن طويل لا يسع مكّارا ومزيّفا أن يصبر خلاله عليها بأقدام راسخة..... وكان ﷺ سديد القول لدرجة أنه حوَّل جميع الأقوام والفِرق وكافة الناس الغارقين في الشرك إلى معارضين له نتيجة وعظهم بالتوحيد. أما أقاربه ﷺ فجعلهم قبل غيرهم أعداء له نتيجة منعه لهم من عبادة الأوثان. أفسد علاقاته مع اليهود أيضا بمعارضته إياهم في أمر عبادة المخلوق بأنواعها المختلفة وعبادة المرشدين والأعمال السيئة الأخرى؛ مثل تكذيب المسيح عليه السلام والإساءة إليه،(أي منع اليهود من تكذيب المسيح) مما أدى إلى احتراق قلوبهم إلى أقصى الدرجات، فاستعدوا للعداوة المريرة وبدأوا يتحيَّنون الفرص لقتله. كذلك أسخط المسيحيين أيضا لأنه ﷺ لم يعتبر عيسى عليه السلام إلها ولا ابن إله ولا منجِّي

الآخرين نتيجة موته على الصليب كما كانوا يزعمون. ثم سخط منه عبدة النار والكواكب أيضا لأنه منعهم أيضا من عبادة آلهتهم، وعدَّ التوحيد وحده مدار النجاة.

والآن قولوا عدلا وإنصافا، هل تعدُّ خطة لكسب مواساة الدنيا (كما يُتهم الآن أو كان الناس يتهمونه في عصره بأنه فعل ذلك لكسب الدنيا) بأن يقال لكل حزبٍ أقوال صريحة وجارحة أدت إلى أن شمَّر الجميع عن سواعدهم للمعارضة وانكسرت قلوبهم من السخط؟ وقد جعل الجميع يحتدمون -قبل أن يكوِّن لنفسه جماعة وإن كانت صغيرة، أو يحرز قوة لذب الهجوم عن نفسه- حتى صاروا عطاشى لدمه. (وحتى اليوم، يلصق المستشرقون المعارضون للإسلام بالنبي ﷺ نفس هذا الاتهام، ولكنهم لا يفكرون أبدًا حين يتهمونه أنه كيف يمكن لإنسان أن يفرض على نفسه مثل هذه الحالة المذكورة من أجل تحقيق أي مصلحة أو منفعة؟)

بل كانت الخطة الذكية لكسب مواساة الدنيا أن يصدِّق ﷺ بعضَهم أيضا كما كذَّب بعضَهم الآخر (لو كان الأمر مجرد السعي لكسب أهل زمانه لكان ينبغي أن يصف بعضهم بالصادق أيضا لإرضائهم كما نعت بعضهم بالكاذب) لكي يوافقه بعضهم عندما يعارضه بعضهم الآخر. بل لو قال للعرب إن اللات والعُزّى حق لسقطوا جميعا على قدميه ﷺ ولاستغلهم كما شاء، لأنهم كانوا من أقاربه ومعارفه وعديمي المثال في الحميَّة العشائرية، (كانت له ﷺ رابطة قرابة، وصلة نسب، وعلاقات قبلية معهم، ومن أجل ذلك كانوا مستعدين لتقديم كل نوع من التضحيات. وكانت القضية كلها مقبولة ومتفق عليها لديهم إذا رضي ﷺ بعبادة الأصنام. أي لو قال بأن أصنامكم على حق، لفرحوا بذلك جدًّا، وأطاعوه قلبًا وروحًا. وهذا بالضبط ما عرضوه عليه كمطلبٍ منهم).

ولكن يجب التأمل؛ أكان لمصلحة دنيوية أن يفسدَ النبيُّ ﷺ علاقته مع الأقارب وغيرهم دفعة واحدة وأن يتمسك بالتوحيد الذي ما كان هناك شيء أبغضَ منه في نظر العالم في تلك الأيام وكان مآل الاعتصام به يؤدي إلى مواجهة مئات المشاكل، بل كان الهلاك نفسه يحدق به بسبب ذلك؟

أيّ هدف كان ﷺ ينوي تحقيقه نتيجة الإصرار على ذلك المعتقد المثير للبلايا -الذي بإظهاره سُجن المسلمون وصُفِّدوا وضُربوا ضربا مبرحا- خاصة حين كان قد جعل ﷺ الدنيا كلها تعارضه للسبب نفسه وخسر من كان معه؟ (لم يكن الأمر يقتصر على نفسه ﷺ فقط، بل إن الذين آمنوا به أيضًا اضطروا إلى تحمّل الآلام والمصائب الشديدة عند إعلان التوحيد).

هل هو أسلوب لكسب مواساة الدنيا بأن يقال لكل شخص كلامٌ مرير يعارض طبعه ومرضاته وعادته واعتقاده، وبذلك يحوَّل كلُّ شخص إلى عطِشٍ لدمه في لمح البصر، ولا يبقى على أدنى صلة مع أيّ قوم قط؟

هل يقوم الطماعون والمكارون (أي أولئك الذين تكون لهم أطماع، أو الذين يرغبون في تحقيق شيء ما، أو الذين يظهرون المراوغة أو الاحتيال) بما يحوِّل أصدقاءهم إلى أعداء لهم؟

هل يقوم الذين يريدون أن يكسبوا الدنيا بالمكائد بعمل يثيرون به الدنيا كلها لعداوتهم دفعةً واحدة ويوقعون أنفسهم في خطر داهم ودائم؟ بل الحق أنهم يسلكون مسلك الصلح والوئام مع الجميع لنيل مبتغاهم، ويشهدون بصدق كل فرقة. متى يلاحظ فيهم الإخلاص لمرضاة الله تعالى؟ ومتى يبالون بوحدانية الله وعظمته؟ ما لهم ولتحمل الضرب والمعاناة في سبيل الله دونما سبب؟ إنهم ينْصبون شراكهم مثل الصياد حيثما يتسنى لهم قتل فريستهم بكل سهولة. (أي إذا كان همهم هو الاصطياد بالاحتيال فإنهم يبسطون شراكهم كالصياد) ولا يختارون سبيلا إلا الذي تقل فيه المشقة وتكثر الفائدة الدنيوية. النفاق سيرتهم، والتملق طبعهم، والمعاملة مع الجميع بكلام معسول عادتهم، والتعامل مع اللص وصاحب البيت على السواء شيمتهم. إذا كانوا مع المسلمين كانوا على أتم الاستعداد لترديد: الله الله، وإذا خلوا إلى الهندوس كالوا المديح لآلهتهم. وفي كل مجلس يوافقون الرأي أو يخالفونه بحسب مصلحتهم وبمقتضى الحال. (أي كانوا يتحولون بمقتضى حال المجلس) ما لهم والعلاقة بالله تعالى! وما لهم والوفاءِ والإخلاصِ له ﷻ!! وما حاجتهم ليُلقوا بنفوسهم الفرِحة المسرورة في أتون أحزان شتى! لقد علّمهم معلِّمهم درسًا واحدًا فقط؛ وهو أن يقولوا للجميع: إن صراطك هو الصراط المستقيم، وإن رأيك هو الأصوب، وما فهمتَه هو الحق والسداد.

فباختصار، لا ينظرون قط إلى الصحيح والخطأ أو إلى الحق والباطل أو إلى الصالح والطالح. بل كلٌّ من أطعمهم شيئًا حُلوا كان هو التقي والزاهد والنبيل عندهم، وكل مَن تمتلئ جحيمُ بطونهم بمدحه، يعدّونه من الناجين والوارثين للجنة والفائزين بالحياة الأبدية (أي يصبح هو كل شيء عندهم). ولكن النظر إلى وقائع حياة سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ يكشف بجلاء تام أنه كان مخلصا، طاهر الباطن، باذلاً روحه في سبيل الله من الطراز الأول، وراغبا تماما عن أيّ أملٍ أو طمع في المخلوق، ومتوكلا على الله وحده. لقد فني في مشيئة الله تعالى وانمحى في مرضاته تماما، ولم يبالِ قط بما سيقع على رأسه من البلايا وما سيتحمله من أذى ومعاناة على أيدي المشركين نتيجة إعلانه للتوحيد. بل عمل بأمر ربه حاملاً على عاتقه كل أنواع الشدائد والمصائب والمعاناة، وأوفى بكل شرط من شروط المجاهدة والوعظ والنصيحة حق الوفاء، غيرَ مبالٍ بتخويف أحد. ونقول والحق نقول: لو فحصنا وقائع حياة سائر الأنبياء كلهم فلن نجد بينهم أحدًا واجهَ مثل المواطن الخطيرة والأعداء الكثيرين، ثم نهى عن الشرك وعبادة المخلوق بهذا الحسم والقوة علنًا، متوكلا على الله، بثبات ومثابرة واستقامة. (أي انظروا تاريخ الأنبياء الآخرين فلن تجدوا بينهم أحدا أبدى مثل هذا الثبات)

ففكّروا بشيء من الأمانة. فما أَدَلَّ هذه الأحداثَ كلها على صدق باطن النبي ﷺ. وبالإضافة إلى ذلك، إذا تأمّل عاقلٌ في تلك الأوضاع أكثرَ لوجد أن الزمن الذي بُعث فيه النبي ﷺ كان في الحقيقة بأمس الحاجة إلى مصلح ربّاني كبير وهادٍ سماوي عظيم، وأن كلّ ما عرضه من تعليمٍ كان صادقا حقًّا في الواقع وضروريا للغاية. (أي كان ذلك الزمن قد فسد بحيث كان بحاجة شديدة إلى هادٍ ومصلح ومرشد، فبُعث فيه النبي ﷺ) وكان ذلك التعليم جامعا شاملا لكافة المقوّمات الضرورية لسد حاجات العصر كلها. ثم قد أعطي ذلك التعليم من التأثير ما جذب مئات الألوف من القلوب إلى الحق والصدق، وثبّتَ رسْمَ "لا إله إلا الله" في مئات الآلاف من الصدور، وبلّغ الغايةَ المتوخاة من النبوة، أعنيْ تعليم أصول النجاة، أوجَ كمالها، مما لم يبلغه على يد أيّ نبي وفي أيّ زمان من قبل. فعند النظر إلى هذه الواقعات يفور القلب بشهادة عفوية بأن النبي ﷺ كان هاديا صادقا من الله تعالى حتما. أما الذي يصر على إنكار ذلك تعصبا وتعنتا فمرضه مستعصٍ لا علاج له، وقد ينكر وجود الله عز وجل أيضا. وإلا فعليه أن يُرينا نبيا واحدا آخر وُجدتْ في شخصه واحدةٌ من علامات الصدق هذه كلها التي اجتمعت في شخص النبي ﷺ على أكمل وجه".

ثم يقول عليه السلام:

"أما الهندوس فيكذّبون كل الأنبياء الآخرين وكل الكتب الأخرى، متغنين بمدح الفيدا فقط، وظانين بأن الفيدا هو كل شيء. وأما المسيحيون فيؤمنون بأن التعاليم الإلهية كلها قد خُتمت على الإنجيل، ولا يدرون أن أهمية كل كتاب وعظمته تُقاس بمدى إفادته التوحيدَ، والكتاب الذي يكون أكثرَ فائدة من حيث نشر التوحيد هو الأعلى درجة. (أي أن خير ما في الكتاب الإلهي هو تركيزه الشديد على توحيد البارئ تعالى)، وهذا هو السبب في أن منكر وحدانيةِ الله ﷻ لن ينال النجاة مهما كان جامعًا في شخصه الأخلاقَ الفاضلة. (أي إذا كان المرء منكرا لتوحيد البارئ تعالى فلن يكون من الناجين عند الله تعالى وإن كان متحليا بالأخلاق الحميدة كلها) فيجب على هؤلاء أن يفكروا الآن ويروا أيّ كتاب كان أكثرَ نشرًا للتوحيد –الذي هو مدار النجاة– في العالم. هَلَّا دَلَّنا أحد على بلدٍ انتشرت فيه وحدانيةُ الله بواسطة الفيدا؟ كذلك لا نرى بلدًا انتشر فيه التوحيد بواسطة الإنجيل، بل إن المؤمنين بالإنجيل لا يحسبون الموحِّدَ من الناجين أصلاً، ويدفع القساوسة أهل التوحيد إلى نار حالكة الظلام (أي أنهم يزعمون أن المؤمنين بتوحيد البارئ، أي أن الذين يؤمنون بإله واحد ولا يؤمنون بثلاثة آلهة، سوف يدخلون النار) حيث البكاء وصرير الأسنان. ولن ينجو من تلك النار الحالكة، بحسب زعمهم، إلا من اعتقد بأن الإله قد تعرض للموت والمصيبة والجوع والعطش والألم والمعاناة والتجسد والحلول للأبد، ومن لم يؤمن بذلك فلا سبيل لنجاته. (علمًا أن حضرته عليه السلام يرسم هنا شخصية عيسى عليه السلام بحسب اعتقاد المسيحيين) وكأن تلك الجنة الافتراضية سوف توزَّع بالتساوي على قومينِ أوروبيين عظيمين فقط؛ أي الإنجليز والروس. (أما الآن فقد صارت هذه

الجنة موزعة على بلاد كبيرة أخرى منها أمريكا أيضا، حتى بدأ يقول البعض منهم أن البعثة الثانية للمسيح ربما تكون في شخص ترامب الرئيس الأمريكي. إنا لله وإنا إليه راجعون. فيقول حضرته: كأن تلك الجنة الافتراضية سوف توزَّع بالتساوي على هؤلاء) أما غيرهم من الموحِّدين فكلهم سيُلقون في جهنم لجريمتهم أنهم آمنوا بأن اللهَ بريء من كل عيبٍ منافٍ لكماله التام.

قصدي من هذا الكلام أن ما يسمَّى التوحيد لا يوجد اليوم على وجه الأرض في أي قوم سوى أمة النبي ﷺ، ولا يوجد كتاب يثبّت الملايين من الخَلْق على الإيمان بوحدانية الله تعالى ويرشدهم إلى ذلك الإله الحق بتعظيمه الكامل، إلا القرآن الكريم. لقد اتخذ كل قوم إلها زائفا له، أما المسلمون فإلههم هو نفس الإله الموجود منذ الأزل، لا يزول ولا يتبدّل، وهو هو الآن كما كان في صفاته الأزلية.

فكل هذه الأحداث والواقعات لهي مما يبين صدق نبوة هادي الإسلام ﷺ أجلى وأظهرَ من الشمس، لأن معنى النبوة وغاية الرسالة ثابتة ومتحققة في شخصه المبارك وحده. وكما أن الصانع يُعرَف بمصنوعاته، كذلك لا يزال العقلاء يعرفون هذا المصلحَ الرباني من خلال الإصلاح الحاصل على يده. (أي أن أحدًا إذا صنع صناعة أو جهازا أو غير ذلك فإنه يُعرَف من خلال صناعته وإتقانه لها ونوعيتها، كذلك فإن المصلح الرباني يُعرَف من خلال كونه ناشرًا لتوحيد البارئ تعالى). وإضافة إلى ذلك، هناك آلاف الأحداث المماثلة الأخرى التي تُثبت كون النبي ﷺ مؤيَّدا بتأييد الله تعالى. فمثلاً أليس من المستغرب المحيّر أن شخصا فقيرا، عديم القدرة والحيلة، أمّيّا، يتيما، وحيدا، ومفلسا معدما أتى في زمن كان كل قوم فيه يمتلك قوة هائلة مالية وعسكرية وعلمية، وقدم تعليما منيرا، وأفحم الجميع بقوة براهينه القاطعة وحججه الساطعة،ونبّه كبارَ القوم الذين كانوا يزعمون أنفسهم حكماء وفلاسفة كبارا إلى أخطائهم الفادحة، ثم مع كونه عديم الحيلة فقيرا أظهر من القوة ما أطاح به بالملوك من عروشهم، وأجلس عليها الفقراء. فإن لم يكن تأييدا من الله فماذا كان؟ وهل يمكن أن يغلب الإنسان العالم كله عقلا وعلما وقوة دون أن يكون مؤيَّدا من الله؟

تفصح كتب التاريخ بجلاء تام كما ورد في الفرقان المجيد مرارا بوضوح تام أن النبي ﷺ بُعث في زمن كان الشرك والضلال فيه منتشرا في الدنيا كلها، وكان الناس كلُّهم قد تركوا المبادئ الحقة، واختار كل حزب طريق البدع والانحراف ناسين الصراط المستقيم. كانت عبادة الأوثان في قمتها في الجزيرة العربية. أما في فارس فكانت عبادة النار في أوجها. وأما في الهند فكانت مئات الأنواع من عبادة المخلوق منتشرة إلى جانب عبادة الأوثان. وفي تلك الأيام نفسها أُلِّف العديد من كتب الهندوس- منها كتبهم الدينية وغيرها، التي بسببها أُلّه عشراتٌ من عباد الله- ووُضع أساس عبادة المقدسين. وبحسب قول القس جون دافنبورت (John Davenport) وغيره الكثير من أفاضل الإنجليز لم تكن في تلك الأيام ديانة أسوأ من المسيحية، (فقد كتب جون دافنبورت والآخرون المعاصرون لحضرته من المؤلفين المسيحيين والإنجليز الأفاضل أن أي دين آخر لم يكن فاسدا كما كانت المسيحية)، وكانت تصرفات القساوسة الشائنة ومعتقداتهم

الفاسدة، قد تسببت في إلصاق وصمة عار على جبين الديانة المسيحية. وقد احتلت أشياء عديدة منصب الألوهية في معتقدات المسيحية، وليس مجرد شيء أو شيئين.

إن بعثة النبي ﷺ في زمن انتشار الضلال بوجه عام – حين كان الدهر يقتضي معالجا عظيما ومصلحا وكانت الحاجة ماسة للهداية الربانية – وتنويره ﷺ عالما بالتوحيد والأعمال الصالحة بعد بعثته، واستئصالُه الشرك وعبادة المخلوق – وهي أمّ الشرور – ليدل دلالة واضحة على أنه ﷺ كان حقًّا رسول الله وأفضل الرسل أجمعين. إن صدقه يَثبت من أن قانون الطبيعة والسنَّة الإلهية في زمن انتشار الضلال بوجه عام، كان يقتضي هاديا صادقا؛ (أي من سنة الله ﷻ أنه يرسل رسله حين يفسد الناس) لأن قانون حضرة رب العالمين منذ الأزل أنه كلما بلغ نوع من الشدة والصعوبة في الدنيا منتهاه، توجهت الرحمة الإلهية إلى إزالته. فكلما أوشك الخلق على الانقراض بسبب المجاعة الشديدة في الدنيا عند إمساك المطر، نزَّل الله تعالى المطر أخيرا. وكلما أشرف مئات الألوف من الناس على الهلاك نتيجة الوباء، اختُرعت طريقة ما لتنقية الجو أو اكتشف دواء. وحينما يقع قوم في قبضة ظالم، يُخلق عادلٌ مُغيث في نهاية المطاف. كذلك حين يضل الناس عن سبيل الله تعالى ويتركون التوحيد وعبادة الحق، يهَب الله تعالى عبدا من عباده بصيرة كاملة من عنده ويشرِّفه بكلامه وإلهامه ويبعثه لهداية بني آدم ليصلح ما فسد. إن حقيقة هذا الأمر هي أن الرب– الذي هو قيوم العالم، وعليه يعتمد وجود العالم وبقاؤه– لا يحرم الخلق من صفة من صفات إفاضته ولا يعطلها أو يبطلها، بل تظهر كل صفة من صفاته في وقتها المناسب على الفور. وعليه فقد وجب بمقتضى العقل أن تظهر لإزالة غلبة كل آفةٍ صفةٌ من صفات الله التي تقابل تلك الآفة. ولقد تبين من كُتب التاريخ وباعتراف المعارضين أنفسهم، وكذلك من بيان القرآن الكريم الواضح؛ أنه قد غلبتْ في زمن النبي ﷺ آفةُ انحراف جميع أمم العالم عن الصراط المستقيم للتوحيد والإخلاص والاعتصام بالحق. ويعرف الجميع أيضا أن الذي أصلح الفساد السائد في ذلك الزمن وأخرج العالم من ظلمات الشرك وعبادة المخلوق وأقامهم على التوحيد، كان هو النبي ﷺ وحده دون غيره. فالنتيجة التي نتوصل إليها من كل هذه المقدمات هي أن النبي ﷺ هو الهادي الصادق من الله تعالى". (البراهين الأحمدية الأجزاء الأربعة)

إذن إن رسول الله ﷺ هو وحده الإنسان الذي نشَر التوحيد في العالم بوجه حقيقي. فقد ذكرتُ لكم في الخطب السابقة أحداثا كثيرة من سيرة النبي ﷺ تفصح كم كان النبي ﷺ يسعى لنشر التوحيد. وفي هذا العصر أيضا نرى أن الله ﷻ قد بعث بحسب وعده محبه الصادق لنشر التوحيد. لأن سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام المسيح الموعود والإمام المهدي كان أسوة في العمل بتعليم النبي ﷺ وسنته، وكان قلبه عامرا بالحرقة لنشر التوحيد اتباعا لسيده ﷺ، ونجد عدة أمثلة لذلك في كتاباته وحياته العملية وأذكر لكم بعضا منها.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"إن معاملة الله معنا أيضًا عجيبة، إن إلهامي "أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي" من نوع جديد، فلم نقرأ مثل هذه الكلمات في أي عبارة إلهامية سابقة، والمعنى الذي فهمتُه هو أن مثل هذا الإنسان– الذي يُبعث في العالم في زمن قد أسيء فيه إلى التوحيد إساءة بالغة، ونُظر إليه بمنتهى الاحتقار– يكون بمنزلة التوحيد. فالمبعوث في مثل هذا الوقت يكون توحيدًا متجسدًا. (*قال عليه السلام ذلك في مجلس ونشرتْ جريدة كلامه هكذا، وكتبت جريدة أخرى أي البدر بشيء من التفصيل كالتالي: يولد ظمأ التوحيد عند هذا المبعوث لدرجة أنّه يصبح نفسه توحيدًا متجسدًا موجها جميع أهدافه وغاياته باتجاه واحد. أي يتلهف لنشر التوحيد قياما وقعودا وفي كل حركة له وسكون وفي قوله وفعله*). كل إنسان يضع لنفسه غاية أو هدفًا، بينما يكون الهدف والغاية المتوخاة لهذا الإنسان (الغارق في حب الله) هو وحدانية الله – سبحانه وتعالى – فقط، فهو يؤْثر توحيد الله على عواطفه الطبيعية وأهدافِه، ويؤخِّر جميع حاجاته.

ومثل ذلك يتخذ كل إنسان أهدافه صنما له إذ يريد أن يحققها، لكنْ بيد الله – سبحانه وتعالى – وحده أن يمكِّنه من ذلك أو يتوفَّاه قبل ذلك.

(تحقيق أهداف معينة هو ما يتمناه الناس بشدة؛ فالتجّار وأصحاب المِهَن وغيرهم من الساعين وراء الأهداف الدنيوية يضعون لأنفسهم غايات محددة. ولكن الله تعالى أحيانا يحقق غاياتهم، أو يتوفاهم قبل تحققها.) إن الإنسان يتقلب ويضطرب من أجل ماله وشرفه وأهله وحاجاته الأخرى. أحيانًا كثيرة ينتحر الناس بعد عجزهم عن مواجهة هذه المشكلات، أما الذي يأتي من الله مبعوثًا، يكون حماسه من أجل التوحيد فقط، فهو يضطرب ويتقلب من أجل التوحيد الإلهي بدلا من أمنياته الخاصة". قال عليه السلام: "وأعتقد أن كلمات "أَنْتَ مِنِّيْ بِمَنْزِلَةِ تَوْحِيْدِيْ وَتَفْرِيْدِيْ" تنزل عندها من الله تعالى، لأن الله تعالى يحب توحيده كثيرًا. فمن أجل إقامة التوحيد فقط قد قضى الله تعالى على آلاف المشركين إمَّا بالوباء، أو بالقحط، أو بسيوف أنبيائه الأحباء عليهم السلام. ومن أجل ذلك فقط تعقَّدت أوضاع مكة والمدينة أيضًا، كما كانت قضية موسى عليه السلام أيضًا من أجل التوحيد نفسه".

قال المسيح الموعود عليه السلام وهو يتحدث عن الشرك وأنواعه الدقيقة:

"يجب اجتناب الشرك بكل أنواعه، فلا يشركنَّ المرء بالله الشمسَ، أو القمر، أو نجوم السماء،أو الهواء، أو النار، أو الماء أو أيّ شيء آخر في الأرض. ويجب ألا يُعظّم الأسباب الدنيوية ولا يعتمد عليها كأنها شركاء لله، وألا يعوّل على قواه ومساعيه الشخصية؛ لأن ذلك أيضًا نوع من أنواع الشرك. بل يجب عليه أن يحسب– بعد القيام بكل الأعمال– كأنه لم يفعل شيئًا. فلا تزهوا بعلمكم ولا تستكبروا بعمل من أعمالكم، بل ينبغي أن تعُدّوا أنفسكم جاهلين وكسالى في الحقيقة. ولتكن الروح خاضعة على عتبات الله دائما، (يجب الخضوع لله تعالى بعد بذل كل جهد لأن جميع النتائج إنما تتحقق بفضل الله تعالى).... إن الإنسان بحاجة إلى معلِّم ومع ذلك يبقى علمه محدودًا. أما هو سبحانه وتعالى فغني عن أيّ معلِّم، (أي يبقى علم الإنسان

محدودا رغم تعليم معلم أما الله تعالى فعلمه لا يحتاج إلى معلم) ومع ذلك فإن علمه غير محدود. إن حاسة سمع الإنسان بحاجة إلى الهواء ومع ذلك تكون محدودة، (أي حاسة السمع للإنسان تحتاج إلى الهواء ومع ذلك فلا يستطيع أن يسمع إلا بحدود معينة) أما سمع الله فهو بقوته الذاتية، ولا تحده حدود. إن رؤية الإنسان بحاجة إلى الشمس أو إلى ضوء من مصدر آخر ومع ذلك تبقى محدودة، أما رؤية الله تعالى فمصدرها نوره الذاتي وهي غير محدودة. كذلك إن قدرة الإنسان على الخلق بحاجة إلى مادة ووقتٍ ومع ذلك تكون محدودة، ولكن قدرة الله على الخلق ليست بحاجة إلى مادة أو وقت وهي غير محدودة، وكما أنه لا مثيل ولا نظير لأي من صفاته ﷻ، كذلك ليس له ﷻ نظير أو مثيل. فإذا وُجد نقص في إحدى صفاته لكانت جميع صفاته ناقصة، فلا تستقيم وحدانيته ما لم يكن وحيدا فريدا لا نظير أو مثيل له في صفاته، كما لا نظير ولا مثيل له في ذاته". (محاضرة لاهور)

هذا هو التوحيد الذي علّمه القرآن الكريم، وهو أساس الإيمان. في هذه الأيام، وتحت تأثير بعض العوامل، تطرأ أحيانًا مثل هذه الأسئلة حتى في أذهان الأطفال، فيكتبون ويسألون: من الذي خلق الله تعالى؟ ومن أين جاء الله؟ ربما يُملي عليهم الكبار هذه الأسئلة أو تنشأ في أذهانهم تلقائيًّا، ولكن يجب أن يعلموا أن صفات الله تعالى تقتضي أنه أزليٌّ أبديّ، موجود منذ الأزل وسيبقى إلى الأبد، وهو غير محدود. لذلك فهو الذي خلق كل شيء، ولم يخلقه أحد. وأي تصور يمكن أن يخطر ببال الإنسان لوجودٍ أولٍ أو لشيءٍ وُجد من تلقاء نفسه، فإن ذلك ينطبق على الله تعالى وحده.

قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"تَذَكّروا أنّ وحدانية الله التي يريد الله منّا الإيمان بها، والتي يتوقف عليها الخلاص والنجاة إنّما هي الإيمان بأنّ الله منزّه في ذاته عن كلّ شريك، سواء كان وثنًا، أو بشرًا، أو شمسًا، أو قمرًا، أو نفس الإنسان وذاته، أو مَكْرَه أو خداعه؛ وكذلك ينبغي للإنسان ألاّ يَعُدّ أحدًا قادرًا مثل الله، وألاّ يعُدّ أحدًا رازقًا غير الله، وألاّ يعتبر أحدًا قادرا على أن يعزّه أو أن يذلّه، وألاّ يعدّ أحدًا ناصرًا أو معينا؛ كما أن عليه أن يخلص حبَّه وعبادته وخضوعه، وآماله، وخوفه لله وحده.

ولا يمكن أن تكتمل وحدانية الله من غير الخصائص الثلاث التالية:

أولا، توحيد ذات البارئ – أعني أن نَعتبر الأشياء الموجودة كلّها كالمعدوم بالمقارنة مع الله تعالى، وأن نعتبرها هالكة الذات وباطلة الحقيقة. (لا حقيقة لها وهي غير كاملة)

ثانيًا، توحيد صفات البارئ– أعني عدم الإقرار بالربوبية والألوهية إلا لذات الله، وأنّ الآخرين –الذين يبدون رازقين ومحسنين– كلّهم ليسوا إلا جزءًا من النظام الإلهي الذي وضعه اللهُ وصنعه بيده تعالى. (إن هذا كله هو نظام بيد الله وحده، فليكن اليقين بذلك. لا توجد أمريكا ولا إسرائيل ولا أي قوة كبرى أخرى في العالم، بل القوة هي قوة الله تعالى وحده. فإذا أدرك المسلمون هذه الحقيقة، فإن نجاحهم مؤكد.)

ثالثًا، توحيد الحب والإخلاص والصفاء – أعني ألاّ نجعل أحدًا شريكًا لله في حبّنا وعبادتنا له والتفاني فيه ﷻ." (أي لا نحب أحدا مثل حبنا لله تعالى.) (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي)

ثم قال عليه السلام:

"والآن حين رأى الله تعالى في هذا العصر أن الأرض فسدت وسلك عشرات ملايين الناس طريق الشرك ووُجد في العالم أكثر من أربع مئة مليون شخص يؤلهون إنسانا عاجزا ابن مريم (هذا كان عدد المسيحيين في ذلك الوقت) وإلى جانب ذلك بلغ شرب الخمر والتحرر وعبادة الدنيا والحياة الغافلة منتهاها بعثني الله تعالى لأصلح هذه المفاسد. فقد تاب قرابة مئة ألف شخص على يدي من هذه المنكرات وسوء الاعتقاد وسوء الأعمال (هذا العدد كان في ذلك الوقت حين قال حضرته هذا الكلام أما الآن فقد دخل جماعته ملايين الناس بفضل الله تعالى، ثم ذكر عليه السلام الآيات فقال) وقد ظهرت أكثر من ١٥٠ آية يشهدها مئات الألوف من الناس. لقد أُرسلت لأقيم التوحيد على الأرض من جديد وأنجي الناس من عبادة الناس والحجارة وأعيدهم إلى الله الواحد الذي لا شريك له وأوجههم إلى الطهارة الباطنية والصدق. أرى أن هناك نشاطا في الناس بهذا الشأن وآلاف الناس يتوبون على يدي. وتهب من السماء ريح حتى بدأت الطبائع تنسجم مع التوحيد ويتبين صراحة أن من مشيئة الله أن يمحو عبادة الإنسان من العالم، وقد خُلقت مئات الأسباب لتحقيق هذه المشيئة".

أقول: لقد هيأ الله تعالى لنا أيضا هذه الأسباب التي بها نبلّغ الدعوة، فيجب على كل أحمدي أن يسعى جاهدا لنشر التوحيد.

ثم قال عليه السلام: "فيما يتعلق بالسؤال الذي يُطرح علي عن تعريف عبادة الأوثان، وما الذي يجعل هؤلاء الناس عبدة الأوثان، فمن الضروري أن أبيّن الأمور بهذا الشأن:

فليكن معلوما أن العبادة نتيجةٌ للعقائد، واعتقاد أهل الحق هو أن الله واحد، وأن صفاته جل شأنه أزلية وأبدية وقائمة دائما، لا يحدث فيها تغيّر ولا تبدّل، وليس لها بداية ولا نهاية. والله الحق أزلي وأبدي، وليس مخلوقا ليُولَد (ولم يوجَد بأي طريقة أخرى، كما أوضحتُ من قبل، وقد تضمّن هذا الجواب ردًّا على أسئلة بعض الناس، وهو أن الله الحق أزلي وأبدي، وهو ليس مخلوقا ولم يولَد، بل هو منزّه عن كل صفة تكره قلوبنا قبولها. بل الحق أن صفاته تُقِرّ قلبَنا فيأنس إليها. وهو ﷻ واحد منذ الأزل. هل من قلب يُنكر وحدانيته؟ وهو واحد إلى الأبد، هل من قلب يُقرّ بالثالوث؟ هذا هو تعليم المسيحية وليس أن هناك ثلاثة آلهة، فمن كانت فطرته سليمة لا يمكنه الإقرار بالثالوث).

يقول عليه السلام: "لقد أُرسلتُ لإصلاح مفاسد الثالوث ولإصلاح المفاسد التي تطرقت إلى المسيحية. لذلك فإن هذا المشهد المؤلم، أن يوجد في العالم ما يزيد على أربعمئة مليون شخص اتخذوا عيسى عليه السلام إلها، قد أوجع قلبي وجعا لا أظن أني عانيتُ في حياتي كلها حزنا أشد منه، بل لو كان الموت همًّا وحزناً ممكنا

لأهلكني هذا الحزن. كيف يترك هؤلاء الناسُ الله الواحد الذي لا شريك له، ويعبدون إنسانا ضعيفا؟ وكيف لا يؤمنون بالنبي الذي جاء بالهداية الصادقة والصراط المستقيم؟ (أي النبي محمد ﷺ) وكانت تساورني في كل حين خشيةٌ أن صدمات هذا الحزن قد تؤدي بي إلى الهلاك."

يقول عليه السلام أيضا: "وقد صدق الله في القرآن الكريم إذ قال: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ من افتراء أن يُجعل إنسان ضعيف إلها. وكان حالي من هذا الألم أنه إذا كان الناس يطلبون الجنة فجنتي هي أن أرى البشر في حياتي يتحررون من هذا الشرك وأن أرى جلال الله متجليا. وروحي تدعو في كل لحظة: اللهم إن كنتُ من عندك وكان ظل فضلك عليّ، فأرني اليوم الذي تُرفع فيه عن المسيح عليه السلام تهمة وكأنه – والعياذ بالله – ادّعى الألوهية. وقد مضى زمان وأنا أدعو في صلواتي الخمس أن يمنح الله هؤلاء القوم بصيرة، فيؤمنوا بوحدانيته ويعرفوا رسوله ويتوبوا عن عقيدة الثالوث".

أقول: إن المسيحية في طريقها إلى الاندثار عمليا، وبقيت عقيدة الثالوث نظرية في الكتب فحسب، وقليلٌ من يمارسها فعليا، ولا سيما في أوروبا، وإن كانت لا تزال موجودة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية. غير أن الذين يتخلون عن عقيدة الثالوث أيضا لا يؤمنون بإله واحد، لذا يجب علينا أن نبذل قصارى جهدنا لإيصال هذه الرسالة وتثبيتهم على التوحيد.

ندعو الله تعالى أن يجعلنا ممن يحققون الهدف الذي أرسل المسيحَ الموعود من أجله وممن يعملون بتعليم التوحيد الحقيقي الذي أعلنه النبي ﷺ، ويوفقنا عز وجل لنشره في العالم، فهذا هو الحل الوحيد لبقاء البشرية، ولا حل سواه. اللهم وفّقنا لذلك.

بعد الصلاة سأصلي صلاة الجنازة الغائبة على مرحومَين:

الجنازة الأولى هي للمرحوم خواجة ظفر أحمد، الأمير السابق لمحافظة سيالكوت، وكان يقيم في أمريكا منذ بعض الوقت، وقد توفّي قبل بضعة أيام عن عمر ناهز الواحد والتسعين عاما. إنا لله وإنا إليه راجعون. كان المرحوم من الموصين. تقول ابنته حفظة الحي: لقد رأيناه منذ طفولتنا يقضي حياته في خدمة الجماعة بإخلاص وتواضع وتفانٍ تام. وكانت العلاقة العميقة بالخلافة سمةً بارزة في شخصيته، أدّت دورا أساسيا في غرس حب الخلافة والإخلاص لها في قلوب أبنائه وأهله وأولاده. أقول: وهذا أمر لا شك فيه. كان رجلاً وفيا مخلصا لنظام الجماعة. وقد وُفِّق لخدمة الجماعة من شبابه إلى آخر لحظة من حياته؛ إذ أُتيحت له فرص الخدمة قائداً في مجلس خدام الأحمدية على المستوى المحلي والمحافظة، وأميرا محليا وأميرا على مستوى المحافظة. وكان شغفه في خدمة ضيوف المسيح الموعود عليه السلام كبيرا جدا، فكان يقيم الوفود القادمة من المركز في بيته ويحسن ضيافتهم ببشاشة قلبية. كانت البشاشة والطمأنينة تبدو واضحة في وجهه حين أدائه هذه الخدمة. ولم يصدر عنه قط كلامٌ لا يليق بحق أي مسؤول، ولم يكن يحتمل سماع مثل هذا الكلام،

إذ لم يكن يأذن لأحد بالنقد أمامه. وكان توكله على الله كاملا. فكلما حلَّ به ابتلاء في سبيل خدمة الجماعة أو في حياته الشخصية، انصرف دائما انصرافا كاملا إلى الدعاء متوكلاً على الله اتكالاً مطلقا.

تقول ابنته: لقد رأينا بأم أعيننا أن الله تعالى نصره نصرة كبيرة في معظم الأحيان واستجاب دعاءه. وقد خدم والدته خدمةً مثالية حين اعتلّت صحتها، فلازم خدمتها سنواتٍ طويلة بصبرٍ وحب كبير.

ترك المرحوم وراءه أرملته وثلاث بنات، وحفيدات، وأحفادا وأولادهم. اللهم اغفر له وارحمه. كان بحكم منصبه أميرا في المحافظة على دراية تامة بأحوال كل فرع من فروع الجماعة في منطقته، حتى أصغرها في القرى النائية. وكان عارفا بالطرق كلها ولا يكتفي بالجلوس في المدينة بصفته أميرا، بل كان يجوب القرى في كل مكان. حين كانت الظروف جيدة كانت القطارات الخاصة تُسيَّر من سيالكوت إلى ربوة لنقل المشاركين في الجلسة السنوية (في ربوة). وكان المرحوم يتولى تنسيقها بنظام ودقة متناهيين.

كان المرحوم شخصيةً محبّبة، وكان كما قلتُ مفعما بالإخلاص والوفاء والتواضع. غفر الله له ورحمه.

المرحوم الثاني الذي أريد أن أذكره هو السيد إدراغو أليدو من بوركينا فاسو من الأحمديين المحليين. كان يعمل في الجيش، وكان في هذه الأيام مُعيَّنًا في قرية من منطقة آيوغيا بسبب انتشار الاضطرابات التي أحدثها الإرهابيون هناك. ففي الثالث من مارس، وأثناء أدائه لواجبه، تُوفِّي إثر هجومٍ إرهابي، فنال الشهادة. إنا لله وإنا إليه راجعون.

كان عمره أربعين عامًا، وكان خادمًا مخلصًا. بايع في العام ٢٠٠٧، وكان هو وزوجته هما الأحمديَين الوحيدَين في عائلتيهما، إذ لم يكن في أسرتهما أي أحمدي غيرهما.

يقول الداعية الإقليمي السيد سعادة إن المرحوم كان عضوًا نشيطًا جدًا في الجماعة، وكانت له علاقة عميقة بالجماعة وبالخلافة الأحمدية. كان شابًا أحمديًا تقيًا، وعابدًا، ومخلصًا. وقد خدم أيضًا كقائد لمجلس خدام الأحمدية، وكان منتظمًا في أداء التبرعات. وكان يشارك بحماس في البرامج الجماعية. وعلى الرغم من عمله في الجيش، كان يحرص على حضور الجلسة السنوية في بوركينا فاسو كل عام. وكان يعامل الدعاة بكل احترام وتقدير، ويساعدهم أيضًا.

عندما ذهبتُ إلى غانا في زيارة، كنتُ قد ذهبتُ أيضًا إلى بوركينا فاسو في عام ٢٠٠٥. ولكن في عام ٢٠٠٨، عندما زرت غانا، وصلت قافلة من خدام الأحمدية من بوركينا فاسو على دراجات، سافروا لمسافة تزيد على ألف كيلومتر، وكانت دراجاتهم بسيطة ومتهالكة ليست مثل الدراجات التي لدينا هنا، والطرق كذلك صعبة أيضا. ومع ذلك أتمّوا هذه الرحلة الطويلة حتى وصلوا إلى غانا والتقيتُ به هناك. وكان يذهب إلى الجلسات على الدراجة أيضًا دائما.

ويقول الداعية المحلي السيد سمبوري عبد الرحمن إنه وجده مداومًا على خدمة الجماعة بإخلاصٍ تام، حاضرًا لكل نداء، وكان يلبّي فورًا أي عمل يُطلب منه. وكان يؤدي واجباته في الجلسة السنوية وغيرها من

الاجتماعات التنظيمية بكل مسؤولية. وكان الناس يُعجبون بتفانيه في العمل حتى كانوا يلقّبونه بالمعلّم الصغير، بل إن بعض المعلمين لم يكونوا يؤدّون العمل بروح الوقف التي كان يؤدي بها. وعندما لم يكن قد حصل على عمل في الجيش، كان قلقًا جدًا، وكان يقول: أنا فقير، فكيف أستطيع أن أشارك في تقدم الجماعة؟ ولكن عندما حصل على الوظيفة، بدأ يؤدي التبرعات بانتظام. وكانت له علاقة قوية جدًا بالجماعة؛ فحيثما أُرسل للخدمة كان أول ما يبحث عنه هو مركز الجماعة أو المسجد، وكان يحضر صلاة الجمعة بانتظام. ترك خلفه والدته وزوجته، إضافةً إلى ابنٍ واحد وابنتين. نسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه.

*****